﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اللهُ يتولَّى مَن صدَعَ بالحقِّ بغَوْثِه وولايته

لَمّا قرَّر الظّالمونَ تحريقَ إبراهيمَ ﷺ بقولهم: حرِّقوه، جاء الغَوْثُ الإلهيُّ بأمرِ اللّه النّار - وهي خَلْق من خَلْقه - أن تكون بَرْدًا وسلامًا فلا تصيبُه بضُرّ، ويَسلَمُ من بردِها وحرِّها وحَرْقِها(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَرۡدٗا﴾: بَرَدَ يَبرُدُ بَرْدًا، فهو بارد، والبَرْدُ خلافُ الحرِّ، وبَرَدَ الماءُ حرارةَ جَوْفي يَبْرُدُها(2)، ويُقالُ: برَدَ كذا؛ أي: اكْتسبَ بردًا، وبرَّدَ الماءَ؛ أيْ: أكسبَه بَرْدًا؛ نحو: ستبردُ أكبادًا وتبكي بواكيًا(3).

2) ﴿وَسَلَٰمًا﴾: سَلِمَ يَسْلَمُ سلامةً وسلامًا، والسِّلْمُ والسَّلامةُ: التَّعرّي من الآفاتِ الظّاهرةِ والباطنة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشُّعراء: 89]؛ أيْ: مُتعرٍّ من الدَّغَل، فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البقرة: 71] فهذا في الظّاهر(4)، وقوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾؛ أيْ: لا حرَّ فيها ولا إحراق، ومُتعرّية من البردِ المؤذي، فيسلم منها إبراهيمُ ﷺ(5).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللهُ يدافع عن عباده المؤمنين

أضْرَمَ الظّالمون النّار، وذهبوا بإبراهيمَ ﷺ إليها، فعند ذلك أمرَ اللّهُ ﷻ النّارَ أن تكون بَرْدًا لا تحرقُه، وسلامًا عليه مع وجودِ بردِها وانتفاءِ حرِّها، معجزةً من اللّه لنبيِّه وخليلِه إبراهيم ﷺ(6).

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 66.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برد).
(3) هذا عجز بيت لمالك بن الرّيب، وصدره: وعطّل قلوحي في الرّكاب فإنَّها، وهو في: ابن فارس، المُجمل: 1/ 124، والزَّمخشري، أساس البلاغة، ص: 19.
(4) الرّاغب، المُفردات: (سلم).
(5) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/ 578.
(6) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 567.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الجملة ﴿قُلْنَا﴾:

معـيـة الـلـه تحفظ صاحبها وتصونه

جملةُ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ مفصولةٌ عن الَّتي قبلَها؛ إمّا لأنَّها وقعتْ كالجواب عن قولهم: حرِّقوه، فأشْبهت جُمَلَ المجاوَرة، وإمّا لأنَّها استئنافٌ عن سؤالٍ ينشأُ عن قصَّةِ التَّآمُرِ على الإحراق، وبذلك يتعيَّن تقديرُ جملةٍ أُخرى؛ أيْ: فألْقَوهُ في النّار، قلنا: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1]، والذي يُراجِعُ السِّياقَ يجدُ استحضارَ إبراهيمَ ﷺ لاسم الجلالة الدّالِّ على الإله الحقِّ الذي يدعو قومَه إلى الاستسلام له والإيمان به، وهذا من شأنه أن يُحرِّكَ المُتلقّي اليقظ إلى أن يسأل عن معيّة اللّه لعبده إبراهيم الذي يجاهد في سبيله هذا الجهاد الذي آلَ به إلى التّحريق ووضعه في النار؛ فكان قولُه: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ﴾ الآية؛ جوابًا لهذا، فهذه الآية استئنافٌ بيانيٌّ.

دلالة موقع الآية الكريمة:

الإســـراعُ إلى الإحســان من كمال الإحسان

إذا كانت آية: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ معطوفة على آية: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ كانت آية: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ اعتراضًا بينهما؛ فهي مقدّمة من تأخير؛ لأن الأصل الإجمالُ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ﴾، ثم التّفصيل: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وقد دلّ وقوعُها اعتراضًا على إسراع القدرة الإلهية إلى حفظ إبراهيم وحمايته ورعايته والعناية به.

عِلَّةُ إسنادِ الفعل إلى ضميرِ العظمة:

مَـن يُكرمه اللهُ فلا مُهين له

لَمّا أظهرَ القومُ غايةَ ظُلمهم وبطشهم بإبراهيمَ ﷺ بأمرهم بإحراقِه بالنّار، أراد اللّهُ الَّذي له القوَّةُ جميعًا سلامة إبراهيم ﷺ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 106.

منها؛ فعبَّر عن ذلك بقوله سبحانه اسْتِئنافًا لجوابِ مَنْ زادَ تشرّفُه إلى ما كان من أمره بعد الإلقاء فيها: ﴿قُلْنَا﴾؛ أيْ: بعظمتِنا وبأمرِنا النّافذِ الَّذي لا رادَّ له[1]، ثمّ إنّ القوم أرادوا بتحريق إبراهيم إهانته؛ لأنّه أهان آلهتهم وأهانهم بحججه العقلية الرائعة الواضحة المُقنِعة؛ فأراد الله سبحانه تعظيمه بجعل النار بردًا وسلامًا، ونبَّه على ذلك في أنف الكلام؛ فأسند القول إلى صيغة العظمة: ﴿قُلْنَا﴾.

بلاغةُ النِّداء ﴿يَنَارُ﴾:

لَمّا كانتِ النّارُ تنفعلُ لما أرادَه اللهُ منها، كما ينفعلُ مَنْ يعقلُ؛ عبَّر القرآن الكريم عن ذلك بالقولِ لها والنِّداء؛ فقال ﷻ: ﴿يَنَارُ﴾[2].

دلالةُ الأمرِ ﴿كُونِي﴾:

جُعلَتِ النّارُ لمطاوعتِها فعلَ الله وإرادته كمأمورٍ أُمِرَ بشيءٍ فامتثلَه[3]، وهذا دليلٌ على أنَّ كلَّ شيءٍ مُسخَّرٌ لله وبأمرِ الله، كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: 4]، وأمرُه تعالى نافذٌ؛ بل سريع النَّفاذ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: 50].

كـلُّ شيءٍ تحت أمـرِ الله ووفق حُكْمِه

نكتةُ الجمعِ بين كونها بَرْدًا وسلامًا:

قولُه تعالى: ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾؛ أيْ: ذاتَ بَرْدٍ وسلام، فبُولِغَ في ذلك، فكان ذاتُها بردًا وسلامًا[4]؛ على ما يُفهِمه التعبير بالمصدر، ولَمّا كان البردُ قد يكون ضارًّا بإبراهيم ﷺ، قال: ﴿وَسَلَٰمًا﴾؛ فكانت كذلك، فلم تحرق منه إلّا وثاقَه[5].

لـيـس كـمـثـل اللُّطف بالكُمَّل اللطفُ بغيرهم

قولُه: ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ بين التشبيه وعدمه:

أظهرَ اللهُ تعالى معجزتَه لإبراهيمَ ﷺ إذْ وجَّه إلى النّارِ تعلُّقَ

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 445.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 451.
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 2/ 578.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 451.
(5) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 445.

الإرادةِ بسَلْبِ قوَّةِ الإحراق، وأن تكون بَرْدًا وسلامًا إن كان الكلامُ على الحقيقة، أو أزالَ عن مزاجِ إبراهيمَ التَّأثُّرَ بحرارةِ النّار، إن كان الكلامُ على التَّشبيه البليغ؛ أيْ: كوني كبرْدٍ في عدمِ تحريقِ المُلْقَى فيك بِحَرِّك، وأمّا كونُها سلامًا، فهو حقيقةٌ لا محالة، وذَكَر ﴿وَسَلَٰمًا﴾ بعد ذِكْرِ البَرْد كالاحْتراس؛ لأنَّ البَرْدَ مُؤْذٍ بدوامه ربَّما إذا اشْتدّ، فعقَّب ذِكْرَه بذِكْر السَّلامِ لذلك، وإنَّما ذكرَ ﴿بَرْدًا﴾، ثمَّ أتبع بـ ﴿وَسَلَٰمًا﴾، ولم يقتصر على ﴿بَرْدًا﴾ لإظهارِ عجيبِ صُنعِ القُدرة الإلهيَّة إذْ صيَّر النّارَ برْدًا[1].

قدرته تعالى في سَلْبِ خاصيَّة النار وجَعْلِها بردًا وسلامًا

سرُّ التَّخصيص بـ ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ذِكْرًا ولفظًا:

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يتنازعُه بردًا وسلامًا، وهو أشدُّ مبالغةً في حصول نفعهما له[2]، فجاء التَّقييدُ به؛ لأنَّ المُرادَ اختصاصه ﷺ بهذا دون غيره[3]، وقال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ دون (عليه)؛ لأنَّ لجلال الله وجماله حضورًا عظيمًا في قلبه؛ إذ هو أمة وحده، ودون (النبي إبراهيم) أو (الرسول إبراهيم)؛ للدلالة على شدة قرب معيته تعالى منه، ووصفُ النّبوة والرسالة يُوهِمُ وجودَ وسيطٍ بين إبراهيم وبين الله ربه، وغيابُ ذلك ونحوه يُفْهِمُ كون اتصاله بربه من غير وسيطٍ.

المبالغةُ في حصولِ النَّفعِ لإبراهيمَ فحَسْب

سرُّ التَّعبيرِ بحرفِ الاسْتعلاء ﴿عَلَىٰٓ﴾:

لمّا كان المرادُ حياةَ إبراهيمَ ﷺ بالمحافظة عليها؛ فقد عبَّر القرآن الكريم بحرف الاسْتعلاء؛ فقال: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أيْ: فكان ما أرَدْنا من سلامته[4]، والنَّجاةِ بحياته تامَّة دون أن يصيبَها أيُّ إحراقٍ أو إيذاء؛ فقد كان إبراهيم ﷺ مُحاطًا بعناية الله ربه ﷻ.

إحاطة عناية الله ﷻ بإبراهيم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 106.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 106.
(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 445.
(4) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 445.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البرد والصِّرّ والزَّمهرير:

البردُ خلافُ الحرِّ[1]، والصِّرُّ بكسر الصّاد بَردٌ يضربُ النَّباتَ والحَرْث، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران: 117]، وريحٌ صَرْصَرٌ؛ أيْ: باردة، قال تعالى: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فصلت: 16] لفظُه من الصَّرّ، وذلك يرجع إلى الشِّدَّةِ لما في البرودةِ من التَّعقُّد[2]، والزَّمهرير: شدَّةُ البَرد، قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ [الإنسان: 13][3]، فأدنى هذه الثلاثة هو البرد، وذلك أقربُ إلى أن تكون فيه السلامة.

الثَّلاثةُ مشتركةٌ في معنَى البرودة، والصِّرُّ أشدُّها فهو يُهلِكُ الحَرْث، وأوسطُها الزَّمهرير

السَّلام والأمن والأمان:

السَّلامُ والسَّلامةُ نقيضا الهلاك، والخُلوصُ من الآفاتِ الظّاهرة والباطنة، يُقال: سَلِمَ الرَّجُلُ من عِلَّته، إذا كان يُخافُ عليه الهلاكُ منها، أو على شيءٍ من جسده، ويُقال للمتبرِّئ من العَيْب: سالمٌ من العَيْب[4]، والأمانُ والأمنُ والأمانةُ في الأصل مصادر، ويُجعَلُ الأمانُ تارةً اسْمًا للحالةِ الَّتي يكونُ عليها الإنسانُ في الأمن، وتارةً اسْمًا لما يؤمَّنُ عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: 72]، وأصلُ الأمنِ والأمان: طُمأنينةُ النَّفْسِ وزوالُ الخوف، قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: 97][5].

السَّلامُ خُلوصُ الآفاتِ الظّاهرة والباطنة، وهو سبيلٌ للأمانِ من الخوف

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برد).
(2) الرّاغب، المُفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (صرر).
(3) الرّازي، مختار الصّحاح: (زَمْهر).
(4) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 281 - 282، والجُرجاني، التَّعريفات، ص: 350.
(5) الرّاغب، المُفردات: (أمن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»